كيف يُغسل عن شارعٍ ثاكلٍ قمرُ الأرجوان؟

. حنّا أبو حنّا .

١

هذه الأرضُ
أقْرأُ أعشابَها نبتَةً نبتَةً مثلما راحتي.
في الفؤادِ خريطةُ فِتْنتِها
أَمْسَحُ الخَلَّ عن وجنتيْها
أَصْفِرُ غرَّتَها
وأُرتِّل آياتِها
حَسْرةً
حَسْرةً
في تراب الخشوعْ.

غَيْمَتي طَوَّفَتْ في سماء البساتين والوَعْرِ
من سنديان الجبال إلى مَفْرِقِ النَّخلِ في الغَوْرِ
من شاطئ البحر للنَّهْرِ
من شفةِ الجرحِ حتى جذورِ الدّموعْ.

نَوَّصَ العُمْرُ
لم تَخْبُ شمسُ اللّظى.
كم حَرثتُ،
بَذَرتُ،
زَرَعتُ الشُّموعْ!

٢

هذه الذّاكره
يَمَّحي رَمْلُها تحت موج السنينْ.
غير أنّ الرّصاصَ الذي تتوالى مواسمُه
يتكدَّسُ في رَحِمِ الياسمينْ.
السّلامُ على الراحلين إلى موطن
السُّنْبُلَهْ.
السّلامُ عليكمُ يا أيُّها الشهداءُ الّذين
حُصِدْتُمُ في كفْرِ قاسم.
السّلامُ على الخالدينَ الذين ارتوى
سهلُ سخنينَ منْ دمهم
وتعانَقَ في مهرجان الشهادةِ مع كَفَرْكنّا.
السّلامُ على أمِّ فحْمٍ التي اقتحموا
حرماتِ المدارسِ فيها
وربَوْا عصافيرَها بالرَّصاص.
السّلامُ على باقةِ الشهداءِ النّديّةِ
وهي تُزَفّ إلى غرغراتِ التراب.
السّلامُ على الراحلينَ إلى موطنِ السُّنبله
والسّلامُ على آخرينَ تناديهمُ القافله.

٣

شمسُ تشرينَ محمومةٌ تحترقْ
ريحُ تشرينَ نائحةٌ في الطُّرُقْ
موسمُ الموتِ عاد
كَرْمُنا يحترقْ.

غابةٌ من جنونٍ
وأفعى تسخِّن في الشمس سُمًّا ونابْ.
لَحْمُنا فوق حبلِ الرَّصاص
خُبْزُنا من عجينِ الدِّما والترابْ.

جَحْفَلُ الخُوَذِ الحاشده
والقلوبِ التي صَدِئتْ
والعيونِ التي رحلتْ من وجوهِ الجنود
إلى فوّهاتِ البنادق...
تتغوَّرُ أنْجُمُنا المطفأه
نتساقطُ
لؤلؤةً
لؤلؤه...

٤

مطرٌ فاجعٌ في براري الذهولْ
الرَّصاصُ يصولْ
الرَّصاصُ يفتّش عن قسماتِ قتيلْ.

الرَّصاصُ يطارد في الحيِّ غزلانَه النافره
الرَّصاصُ يعلّق فوق الصدور
نياشينَه الفاغره.

الرَّصاصُ يحوِّم في غرفِ النّومِ
يُرْعب زنبقةً نائمه.
الرَّصاصُ حوافرُه الفاجراتُ
تَدُوس قرنفلةً حالمه.

الرَّصاصُ يصول
يطارد في ساحةِ الحلمِ أحلى الجيادِ
يمزِّق تِلْو القتيلِ القتيل.

كيف يُغسَل عن شارعٍ ثاكلٍ قَمَرُ
الأُرجوان؟

٥

تترمَّد كلُّ الجراحِ
وتبقى ندوبٌ على شاطئ اللازوردْ...
غيرَ جُرْحِ الثكالى
يظلّ على شفرةِ النّاي
خلاًّ ووردْ.

٦

كيف يَطْلب حقَّه أَعْزَلُ
إلاّ من النَّكَباتْ
يا أبانا..
هنالك
في السّمواتْ؟!

٧

كلّما فاح في الجَنَباتِ
بَخورُ شهيدْ
نتعزّى
بأنْ لم يَزَلْ في الحنايا
ترابٌ لقبرٍ جديدْ!

٨

الأكاليلُ تَذْبلُ فوق القبور
مثلما ذبلتْ زهرةُ الشهداء،
والقميصُ الذي بَقَّعَتْهُ الدماء
عَلَمٌ للنِّسور!

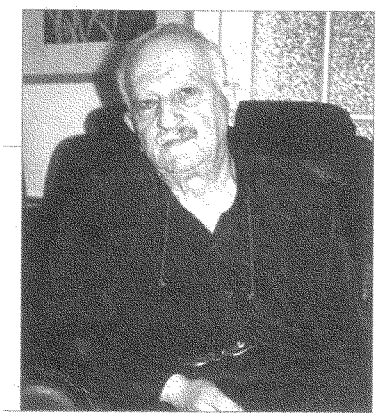

حنا أبو حنا (الرينة ـ ١٩٢٨):

تخرّج في الكلية العربية في القدس. عمل معلمًا بدءًا من عام ٤٨. حرّرَ في الصحف الشيوعية، وأصدر منها مجلة **الغد**. شغل منصبَ مدير الكلية الأرثوذكسية في حيفا. نال جائزة «القدس» و«جائزة فلسطين» له نحو عشرين إصدارًا في الشعر والدراسات، وفي «السيرواية» حيث أصدر **ظل الغيمة**.